مبادرات محمد بن راشد آل مكتوم العالمية
Mohammed Bin Rashid
Al Maktoum Global Initiatives

كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية
MOHAMMED BIN RASHID
SCHOOL OF GOVERNMENT

كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية
ملخص سياسات

يناير 2018 | موجز سياسات – رقم 50

التعليم ثنائي اللغة في الإمارات العربية المتحدة

لمى سليم زقزق، باحثة مشاركة، كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية

ملخص

مرت دولة الإمارات العربية المتحدة بتغيرات واسعة طالت قطاع التعليم منذ سبعينات القرن الماضي. في ظل العولمة والإنفتاح الاقتصادي والثقافي الذي شهدته، تصدرت الإنجليزية الساحة كلغة مشتركة لتسهيل التعامل بين الجنسيات المختلفة. تسود مخاوف من أن تراجع استخدام اللغة العربية قد يقلص الشعور بالإنتماء إلى الهوية الوطنية والإسلامية لدى جيل الشباب. يأتي هذا التوجه مصحوباً بمناشدات من قبل أولياء أمور وتربويين وسياسيين للتدخل في سبيل تعزيز مكانة اللغة العربية والحؤول دون تراجعها بين متحدثيها الأصليين. في المقابل، تتصدر الإنجليزية الساحة كمهارة ضرورية في سوق العمل وكلغة للتدريس في معظم مؤسسات التعليم العالي في الدولة. و بناءً على ذلك، تلقى اللغة الإنجليزية في قطاع التعليم اهتماماً كبيراً و يُقبل العديد من الأهالي العرب على تعليم أولادهم مهارات اللغة الإنجليزية منذ الصغر. وقد يتساءل البعض، هل يمكن التخطيط لسياسات لغوية شاملة وموحدة على أرض الإمارات؟ ما العوامل التي يمكن أن تسهم في تحقيق التعليم ثنائي اللغة في الإمارات؟ ما التحديات والعقبات أمام تحقيق هذا الهدف؟

مرت دولة الإمارات العربية المتحدة بتغيرات واسعة طالت قطاع التعليم منذ سبعينات القرن الماضي. في ظل العولمة والإنفتاح الاقتصادي والثقافي الذي شهدته الإمارات، تصدرت الإنجليزية الساحة كلغة مشتركة لتسهيل التعامل بين الجنسيات المختلفة. ولكن بالرغم من رغبة دولة الإمارات في التحديث والإنضمام إلى ركب الدول المتقدمة، تسود مخاوف من أن تراجع استخدام اللغة العربية قد يقلص الشعور بالإنتماء إلى الهوية الوطنية والإسلامية لدى جيل الشباب. ويشير التقرير الصادر عن استطلاع رأي الشباب العربي السنوي لعام ٢٠١٧ أن ٦٠٪ من الشباب العربي يتفقون مع عبارة «اللغة العربية تفقد قيمتها» بزيادة قدرها ١٣ نقطة عن عام ٢٠١٥ (أصداء بيرسون-مارستيلر، ٢٠١٧). وفي الإمارات العربية المتحدة، يأتي هذا التوجه مصحوباً بمناشدات من قبل أولياء أمور وتربويين وسياسيين للتدخل في سبيل تعزيز مكانة اللغة العربية والحؤول دون تراجعها بين متحدثيها الأصليين.

على سبيل المثال نقلت صحيفة الإمارات اليوم عن أحد أولياء الأمور أن ابنه في الصف العاشر يعاني من ضعف شديد في مهارات اللغة العربية حيث «لا يستطيع أن يكتب خطاباً من دون أخطاء إملائية ونحوية، إضافة إلى رداءة الخط وعدم ترابط الجمل، على عكس مستواه في اللغة الإنجليزية التي يجيدها قراءةً وكتابةً» (بيومي، ٢٠١٢أ). وعلى الساحة السياسية ، استعرض المجلس الوطني الإتحادي في عدة جلسات عبر السنوات الماضية قضايا تتعلق بتراجع استخدام اللغة العربية بين الشباب الإماراتي وما لها من تبعات على الهوية الوطنية.

وفي المقابل، تتصدر الإنجليزية الساحة كمهارة ضرورية في سوق العمل وكلغة للتدريس في معظم مؤسسات التعليم العالي في الدولة. و بناءً على ذلك: تلقى اللغة الإنجليزية في قطاع التعليم اهتماماً كبيراً و يُقبل العديد من الأهالي العرب على تعليم أولادهم مهارات اللغة الإنجليزية منذ الصغر. وبالرغم من هذا الإهتمام لا تزال هناك تحديات تواجه اللغة الانجليزية وخصوصاً بين المواطنين والمواطنات. على سبيل المثال ونقلاً عن عيسى الملا، رئيس الكوادر الوطنية في برنامج الإمارات لتطوير الكوادر الوطنية، أن الضعف في مستوى اللغة الإنجليزية من أهم الأسباب التي تؤدي إلى إخفاق بعض المواطنين في الحصول على وظائف في قطاعات تجارية ومصرفية

كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية
MOHAMMED BIN RASHID
SCHOOL OF GOVERNMENT

(أمين، ٢٠١٧). ومما سبق يمكننا أن نستنتج على أن هناك مسائل وإشكاليات تخص كل من اللغتين العربية والإنجليزية على مستوى دولة الإمارات، خصوصاً في ظل غياب سياسات لغوية واضحة.

وقد يتساءل البعض، هل يمكن التخطيط لسياسات لغوية شاملة وموحدة على أرض الإمارات؟ ما العوامل التي يمكن أن تسهم في تحقيق التعليم ثنائي اللغة في الإمارات؟ ما التحديات والعقبات أمام تحقيق هذا الهدف؟ يعنى هذا الملخص بتحليل الوضع اللغوي، فيما يخص العربية والإنجليزية، في دولة الإمارات ويناقشه ضمن العوامل الاقتصادية والاجتماعية والديموغرافية التي ساهمت في تشكله، ثم يقدم عدداً من التوصيات لتبني سياسات تعليم ثنائي اللغة يتماشى مع خصوصيات الحالة الإماراتية. ونظراً لأهمية الخطاب الحالي في تشكيل الواقع، قمنا بتخصيص فقرة لتحليل نوعية الخطاب المستخدم في المناقشة والتعبير عن القضايا اللغوية في الإمارات. ولكن في البداية، يستعرض هذا الملخص مفهوم التعليم ثنائي اللغة في الدراسات السابقة ومن ثم يرصد الإصلاحات والمبادرات في قطاع التعليم.

مفهوم التعليم ثنائي اللغة

في أواخر القرن العشرين نال التعليم ثنائي اللغة اهتماماً كبيراً من قبل علماء اللغة والتربويين وقد مر بمراحل تطور متعددة وتعرض لإنتقادات من قبل مشككين بأهميته وجدواه. ولكن برهنت الكثير من الدراسات والبيانات التي جُمعت من برامج التعليم ثنائي اللغة على فعاليته، كما يشير (Baker, ٢٠١١)، أن الدلائل التي جمعت من الأبحاث من مناطق مختلفة من العالم تثبت أن لتطوير ثنائية اللغة فوائد ذهنية واجتماعية واقتصادية وشخصية. وهناك أمثلة ناجحة لبرامج تعليم ثنائي اللغة على الصعيد الدولي في كل من كندا وفنلندا والولايات المتحدة الأمريكية وإستونيا وسنغافورة. لكن تؤكد الدراسات على أنه ليس بالإمكان أن نصف أحد البرنامج على أنه الأفضل على الإطلاق لتحقيق ثنائية اللغة. كما أنه لا يوجد تعريف واحد متفق عليه لثنائية اللغة. ولكن لتحقيق أهداف هذا الملخص، سوف نعرف ثنائية اللغة على أنها القدرة على التعامل بشكل شفوي وكتابي في لغتين أو أكثر في سياقات مختلفة (بدري، ٢٠١٢). ولتعريف التعليم ثنائي اللغة نستند إلى (Anderson and Boyer, ١٩٧٠) والذي يعرف التعليم ثنائي اللغة على أنه استخدام لغتين لتدريس جزء أو جميع عناصر المنهاج المدرسي (ص. ١٢). وغالباً ما يكون الهدف من هذه البرامج هو تحقيق ثنائية اللغة المضافة حيث تُضاف لغة ثانية إلى محصول الطلاب اللغوي مع الإبقاء على اللغة الأولى (Garcia، ٢٠٠٩، ص. ٥٢). وتحدث ثنائية اللغة عندما يتمكن الطلاب من استخدام كلتا اللغتين شفوياً وكتابةً في سياقات وأوساط مختلفة ولكن كما يشير (Baker, ٢٠١١) أن تحقيق ثنائية لغة متوازنة غير وارد، حيث أنه من الطبيعي أن تهيمن أحدى اللغات.

دراسة في الحالة الإماراتية

تنص المادة السابعة من دستور دولة الإمارات العربية المتحدة على أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للدولة وتؤكد المادة السادسة على الهوية المشتركة لشعب الإتحاد والإنتماء للوطن العربي. يتسم في دولة الإمارات بالفخر والاعتزاز باللغة العربية والتأكيد على كونها جزء لايتجزأ من الهوية الوطنية والإسلامية. وفي السنوات الأخيرة، ترددت مخاوف من جهات عدة طالبت بالحفاظ على الهوية الوطنية والإرث الثقافي الإماراتي أمام موجات العولمة والتحديث التي توالت بعد ظهور النفط منذ سبعينات القرن الماضي. وقد أعلن صاحب السمو الشيخ خليفة بن زايد، رئيس الدولة، سنة ٢٠٠٨ رسمياً على أنها سنة الهوية الوطنية التي أكدت على المصير المشترك والانتماء العربي هويةً ولغةً. إن التعبير عن الشعور بالتهديد والغزو الثقافي ليس بالغريب على المجتمع الإماراتي وغالباً ما يعزى إلى التركيبة الديموغرافية لدولة الإمارات حيث نجد أن المواطنين يشكلون أقلية في بلدهم، بينما يتكون باقي المجتمع من خليط من جنسيات مختلفة من الوافدين. وبحكم هذا التوزيع الديموغرافي للسكان، تصدرت اللغة الإنجليزية كلغة مشتركة لتسهيل التخاطب بين الجنسيات المختلفة (Badry, ٢٠١٥). وفي السنوات الأخيرة علت الأصوات المطالبة بالمحافظة على اللغة العربية واتخاذ الإجراءات اللازمة لتمكينها في المجتمع.

وعلى الصعيد السياسي، ناقش المجلس الوطني الإتحادي في أكثر من جلسة قضايا تخص تعزيز مكانة اللغة العربية في الإمارات والتي نتج عنها تبني بعض المبادرات والتوصيات المتعلقة بهذا الأمر مثل صدور قرار مجلس الوزراء رقم ٢١/٢ لسنة ٢٠٠٨ والذي ألزم المؤسسات الحكومية بالمخاطبة باللغة العربية وقامت الوزارة بدورها بتعميم هذا القرار على كافة الجهات الحكومية في الدولة. ومؤخراً، أعلنت دائرة التنمية الإقتصادية في دبي عن مبادرة جديدة تقضي بمطالبة جميع المؤسسات التجارية بإصدار فواتيرها بالعربية والتي من شأنها أن تدعم استخدام العربية وتحمي حقوق المستهلكين الذين لا يجيدون اللغة الإنجليزية. ولكن أغلب الشركات والمؤسسات التجارية الخاصة في الإمارات لا تعير العربية أهمية كبيرة وخصوصاً في غياب قوانين تلزمها بذلك. وفي عام ٢٠١٢ صدر ميثاق اللغة العربية بأمر من صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم والذي يضم حزمة من التعليمات والإرشادات التي تُعنى بتنظيم وتعزيز استخدام اللغة العربية. ينص الميثاق على أن تبذل وزارة التربية والتعليم والمؤسسات المعنية قصارى جهودها لدعم تعليم اللغة والحرص على تطوير مناهج اللغة العربية وتدريب مدرسيها. وبالرغم من أن هذه الإرشادات تغطي قطاعات مختلفة غير التعليم (مثل قطاع العمل الحكومي والتجاري)، إلا أنها في معظمها غير ملزمة وخصوصاً فيما يتعلق بالقطاع الخاص، حيث تقوم على التوجيه والتشجيع في أغلب بنودها. وبالنسبة (Mehisto, ٢٠١٥)، فإن مثل هذه المبادرات لم تحقق النتائج المرجوة في تعزيز اللغة العربية وذلك يعود إلى عدم وجود عوامل توازن الكفة أمام الإعتقاد السائد أن إجادة اللغة الإنجليزية ذو قيمة كبيرة بالإضافة إلى الانتشار الواسع للإنجليزية في المجتمع مقارنة باللغة العربية.

ونضيف إلى ذلك رغبة القيادة الإماراتية في تصدر الساحة العربية كدولة ريادية في خدمة اللغة العربية. هناك أمثلة عديدة تبرهن على جهود الإمارات في الحفاظ على العربية كلغة وهوية وتمتد هذه الجهود لتتجاوز محيط دولة الإمارات لتشمل الوطن العربي بشكل عام. على سبيل المثال، في عام ٢٠١٦ أصدر صاحب السمو الدكتور سلطان بن محمد القاسمي، عضو المجلس الأعلى حاكم الشارقة، مرسوماً أميري بشأن انشاء وتنظيم مجمع اللغة العربية الذي من أهم أهدافه الحفاظ على سلامة اللغة العربية وتوثيق التراث وإصدار المعاجم. أتت بعض الجهود أيضا في تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها مثل إنشاء معهد اللغة العربية في جامعة زايد في عام ٢٠١٢ وافتتاح مركز زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الأزهر («افتتاح

مركز زايد،» ٢٠١٣). وفي إطار تكريس مكانة دولة الإمارات وموقعها كمركز للامتياز في اللغة العربية، تم الإعلان عن تأسيس جائزة محمد بن راشد للغة العربية والتي تعنى بتكريم جهود المبدعين في الإعلام والتعريب والتعليم والثقافة والتخطيط اللغوي وغيرها.

نستدل مما سبق على أن هناك قلقاً على مستوى الحكومة والمجتمع حول تراجع استخدام اللغة العربية بين أبنائها وعواقبه على الهوية الوطنية. ولا ينحصر اهتمام القيادة الإماراتية باللغة العربية على الصعيد المحلي فقط، بل تطمح في دور ريادي في هذا المجال على الساحة العربية والعالمية. تشير الأدبيات السابقة (Badry, ٢٠١٢; Badry, ٢٠١٥)، أن هناك العديد من الأسباب وراء تراجع استخدام اللغة العربية في المجتمع. وقد تسبب التطور السريع والإندفاع في تيارات العولمة الذي شهدته الإمارات بعد اكتشاف النفط إلى انفتاح اقتصادي كبير وتوافد العديد من الجنسيات المختلفة التي وجدت في لغة العولمة، أي اللغة الإنجليزية، وسيلة تخاطب سلسة لتيسير المعاملات اليومية والتجارية. أدى ذلك إلى انحصار اللغة العربية تدريجياً في مجالات محدودة مثل المدرسة، محيط المنزل، والدوائر الحكومية. كما أن ظاهرة انتشار الخدم في المنازل وعدم قضاء الأهل وقتاً كافياً مع الأبناء يسهم في تفاقم المشكلة بما أن أغلب الخدم لا يتحدثون العربية (أو يتحدثون العربية الهجينة) فيؤثر ذلك سلباً على اكتساب الأطفال للغتهم الأم، حيث لا يحصل الأطفال على المدخلات اللغوية الكافية منذ الصغر. بالإضافة إلى أن استخدام اللغة في السياق اليومي يختلف عن استخدامها لأغراض أكاديمية، وفقاً للتمييز الذي قام به (Cummins, ٢٠٠٠) بين مهارات التواصل الشخصي الأساسية التي يكتسبها الطفل من السياقات المحيطة به، واللغة المعرفية/أكاديمية التي تحتاج إلى مهارات التفكير العليا. كما أن ازدواجية اللسان في اللغة العربية بين الفصحى واللهجات العامة تشكل تحدياً أمام التخطيط لبرامج تعليم ثنائية اللغة في المدارس. ويزيد من الأمر تعقيداً، اختلاف اللهجات العربية فيما بينها. وهذا يشكل ضغطاً أكبر على وزارة ومؤسسات التعليم لتدريس العربية الفصحى بين الطلاب والطالبات. كما أدى نمو القطاع الخاص والتعامل مع شركاء دوليين إلى زيادة الطلب على موظفيين ممن يتقنون اللغة الإنجليزية لتسهيل التواصل وأصبحت مهارات اللغة الإنجليزية من ضروريات التوظيف والترقي في سوق العمل. وعلى صعيد التعليم العالي، تعتمد معظم مؤسسات التعليم العالي في الإمارات على اللغة الإنجليزية كلغة التدريس والتخاطب داخل الفصول الدراسية. نجد أن ذلك يدفع الكثير من الأهالي إلى التركيز على تعليم أولادهم اللغة الإنجليزية لضمان مستقبلهم التعليمي والعملي. سوف نستعرض في الفقرات التالية وضع اللغتين العربية والإنجليزية في قطاع التعليم ونتتبع الإصلاحات والمبادرات التي تعنى بهما.

الإصلاحات اللغوية في قطاع التعليم

يتلقى التعليم إهتماماً كبيراً من قبل صانعي القرار في الإمارات، حيث تؤمن القيادة في الدولة بأهمية التعليم وتبذل جهوداً كبيرة لتأمين تعليم عالي الجودة لشباب الإمارات، الأمر الذي تصنفه (Badry, ٢٠١٥) كقوى فاعلة يمكن أن الاستفادة منها في حصد ثنائية اللغة. في مقال بقلم صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم تحت عنوان «الدول بين الإبتكار أو الإندثار» تتضح رؤيته حول الدور الأساسي للاستثمار في التعليم والمعرفة، حيث يشير إلى أن «سر تطور دول مثل سنغافورة وماليزيا وكوريا الجنوبية خلال فترة قصيرة هو تأجيل الصرف على البنية التحتية، وتركيزها الكبير على تطوير التعليم وبناء مهارات ومعارف شعوبها، أي البنية غير المرئية.» ولقد ولت الحكومة الإماراتية عناية خاصة لتخطي التحديات المختلفة التي تواجه مسيرة التعليم في الإمارات وبناءاً على ذلك، وخصوصاً في العقد الأخير، توالت الإصلاحات والمبادرات في قطاع التعليم. ففي عام ٢٠١٠ تم طرح الأجندة الوطنية ٢٠٢١ والتي تتناول اللغتين العربية والإنجليزية في أهدافها، حيث تنص على أنه بحلول ٢٠٢١ يجب أن يرتفع معدل التحصيل العلمي الممتاز في اللغة العربية إلى ٩٠٪، كما تهدف الأجندة إلى تقليص أعداد الطلاب المسجلين في السنوات التحضيرية ما قبل الجامعة إلى ٠٪. تناسقاً مع رؤية وزارة التعليم وتأتي هذه الأهداف لتؤكد أهمية تطوير مهارات الإنجليزية والعربية معاً. ويمكن الملاحظة من الأهداف السابقة أن هدف اللغة العربية محصور بالتحصيل المدرسي من خلال رفع نتائج الطلاب عبر وسائل التقييم (الإمتحانات) الخاصة بها، بينما ترتبط اللغة الإنجليزية بأهداف بعد المرحلة المدرسية لتصل إلى السنوات التحضيرية ما قبل الجامعة.

تطغى اللغة الإنجليزية على المشهد التعليمي وخصوصاً في مؤسسات التعليم العالي حيث تعتبر المهارات العالية في اللغة الإنجليزية بمثابة تذكرة نجاح سريعة للقبول بأحد مؤسسات التعليم العالي والاستمرار بها. تعتمد أغلب الجامعات ومؤسسات التعليم العالي في الإمارات على اللغة الإنجليزية كلغة للتدريس، و مواصلة الإعتماد عليها يسهم بشكل كبير في إقبال أولياء الأمور على تعليم أولادهم اللغة الإنجليزية منذ الصغر مما يوسع الهوة بين اللغتين العربية والإنجليزية. ونقلاً عن أحد أولياء الأمور، كتبت صحيفة الإمارات اليوم أن «ابنتها لا تهتم باللغة العربية، ولا تُقبل عليها، بزعم أنها لن تحتاجها عقب المرحلة الثانوية، خصوصاً أن التعليم الجامعي كله باللغة الإنجليزية» (بيومي، ٢٠١٢أ). وبالمقابل يعاني الكثير من طلبة الثانوية المواطنين من ضعف مهارات اللغة الإنجليزية مما يستدعي تسجيلهم في سنوات تأسيسية ما قبل القبول الجامعي والذي يكلف الدولة مبالغاً طائلة سنوياً. تطرح الصحف المحلية بشكل مستمر قضايا تتعلق بعدم رضا الأهالي على مستويات التحصيل العلمي في اللغة العربية والإنجليزية، خصوصاً في المدارس الحكومية. الأمر الذي يدفع بعض المواطنين ممن يتوفر لديهم القدرات المالية إلى تسجيل أبنائهم وبناتهم في مدارس خاصة تتبع مناهج وكوادر أجنبية. وبالرغم من أن المدارس الخاصة مُطالبة (طبقاً للتعديل الصادر عن هيئة المعرفة والتنمية الثقافية في دبي عن عام ٢٠٠٩) بتدريس اللغة العربية للطلاب العرب والأجانب، فإن التدريس في فصول اللغة العربية لا يرقى إلى المستوى المطلوب وغالباً ما تتصدر الشكاوى حول رداءة الأداء في الصحف المحلية. وكشفت فاطمة المري (الرئيسة التنفيذية لمؤسسة التعليم المدرسي في هيئة المعرفة والتنمية البشرية في دبي) أن أسراً مواطنة ومن جنسيات عربية أخرى طالبت الهيئة بإعفاء أبنائهم من دراسة اللغة العربية في المدارس الخاصة (السباعي، ٢٠١٥) بالإضافة إلى أن بعض أهالي الطلاب الأجانب غير مقتنعين بأهمية تعلم اللغة العربية وقد يجدونها مضيعة للوقت (Egbert, ٢٠١٥). ولعل التحدي الأكبر في الإمارات يكمن في إيجاد أو خلق آلية تعدل ميزان القوى لصالح اللغة العربية أمام هيمنة اللغة الإنجليزية وأمام الإعتقاد السائد بأهمية الإنجليزية في المجتمع الإماراتي (Mehisto, ٢٠١٥)

في المقابل، يعبر الكثير من الأهالي المواطنين والعرب برغبتهم في أن يتعلم أبنائهم اللغة العربية الفصيحة في المدارس. مؤخراً، أصدرت وزارة التربية والتعليم بالتعاون مع مجلس أبو ظبي للتعليم قراراً يقضي بتدريس المواد المقررة باللغة العربية بالفصحى داخل الصفوف الدراسية. وكما صرح حسين الحمادي، وزير التربية والتعليم، أن هذا القرار

من شأنه أن يتيح الفرصة أمام الطلاب لممارسة اللغة العربية الفصحى والتشديد على أنها لغة للتواصل والتعلم والإنتاج العلمي («تدفريس المناهج العربية بالفصحى،» 2017). و بناءاً على هذا القرار تُدرس اللغة العربية والدراسات الإسلامية والتاريخ باللغة العربية الفصحى، بينما تُدرس العلوم والرياضيات باللغة الإنجليزية. تقسيم المواد بهذا الشكل يخلق فجوة بين اللغتين حيث يشير التقرير الذي أعدته لجنة «تحديث اللغة العربية» أنه من أهم الأسس التي يجب أن تتوافر للنهوض باللغة العربية في الإمارات هي «التركيز على أن اللغة العربية لغة اليوم بكل تجلياته الحداثية والعصرية في العلم والتقنية والفنون وليست مرتبطة بالتاريخ والماضي فقط» (الباز وأخرون، 2013، ص. 15). ومن خلال تقسيم اللغتين بهذا الشكل وحصرهما في مجالات معينة يتلقى الشباب رسائل مشوشة بين الخطاب الرسمي الذي يدعو إلى معاملة اللغة العربية كلغة عصرية للعلوم والتكنولوجيا والتطبيق على أرض الواقع.

التعليم الثنائي اللغة في الخطاب المحلي

كما ذكرنا آنفاً، يعاني المشهد اللغوي من نقص في التخطيط اللغوي والسياسات الواضحة حول التعليم ثنائي اللغة والمعرفة في الإمارات. في العشر السنوات الأخيرة، كثُرت الأصوات التي تدعو إلى الإهتمام باللغة العربية «اللغة الأم» لدى الطلاب العرب وخصوصا في ضوء القلق من فقدان الطلاب العرب للفتهم الأم أمام لغات عالمية. وفي بعض الحالات أعرب التربويون عن افتقار الطلاب العرب إلى المهارات الكافية للتخاطب باللغة العامية حتى (Pennington, ٢٠١٥). بشكل عام، تتسم لغة الخطاب المستخدمة في وسائل الإعلام المحلية لعرض القضايا التي تخص اللغة العربية في الإمارات بالتشديد على أن اللغة العربية تواجه تهديداً وتعاني من خطر الاندثار.

من الشائع أن تطرح قضية تراجع استخدام اللغة العربية بين الشباب العرب في الإمارات من خلال خطاب يوحي بتعرضها لهجوم أو منافسة من قبل لغات أخرى، خصوصا اللغة الانجليزية. يتسم هذا الخطاب بمفردات الهجوم والدفاع كأن اللغة العربية في ساحة معركة لغوية أمام لغات أخرى. عند القيام بمعاينة الأخبار المطروحة في الصحف المحلية، نجد عناوين مثل «العربية تتلاشى بين طلبة مواطنين وعرب» (يومي، ٢٠١٢ب) و«العربية غريبة في أرضها» (الأمير، ٢٠١٦أ). مما يدفع الكثير من المواطنين إلى التعبير عن قلقهم من إندثار اللغة العربية والشعور بالتهديد بفقدان الهوية الوطنية والإسلامية. في معظم الحالات، يكاد لا يخلو الحديث عن اللغة العربية في الإمارات من الخطاب الذي يؤكد على ضرورة «حفظ» اللغة العربية والحاجة إلى المحافظة عليها من التغريب والمدخلات اللغوية أو حتى من «الموت» و«الاندثار» لتراجع استخدامها من قبل الشباب العربي. من أكثر العبارات استخداماً أيضاً هي تلك التي توحي بمشاعر التتوق والحنين إلى أمجاد الماضي. وقد يبرز في هذا الخطاب مشاعر الفخر والإنتماء للعربية، ولكنه بشكل غير مباشر قد يساهم في حصر اللغة العربية في الماضي ويحدث ضرراً في الطريقة التي تتفاعل اللغة العربية مع الأفراد في حياتهم اليومية والعملية. وفي المقابل، هناك توجه مختلف يتسم بالحث على النظر إلى الحقائق الموجودة على أرض الواقع ورفع اللغة العربية إلى مكانة أعلى من خلال جعلها لغة العلوم والعمل على تطويرها بشكل يتماشى مع متطلبات العصر. على سبيل المثال، صرح صاحب السمو الشيخ محمد بن راشد، في حفل تكريم الفائزين بجائزة محمد بن راشد للغة العربية، أن اللغة العربية «ستبقى لغة للمستقبل والعلوم والإبتكار» وأكد على أن لا بديل عن تمكين اللغة العربية في مختلف المجالات الحديثة (الأمير، ٢٠١٦ب). كما دعا معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير الثقافة وتنمية المعرفة، إلى التعامل مع اللغة العربية ككائن يتطور بتطور المجتمع ذاته وهو أمر طبيعي للغات الحية فهي تحتاج إلى أن تتكيف مع متغيرات العصر («نهيان بن مبارك: اللغة كائن يتطور،» ٢٠١٦). ونلاحظ في هذا النوع من الخطاب أن التركيز يكون على تمكين اللغة العربية على أنها لغة حداثة، والحث على معاملتها كلغة مناسبة للعلوم والإبتكار.

توصيات للسياسات اللغوية في الإمارات العربية المتحدة

١ - الحاجة إلى عملية تخطيط لغوي ووضع سياسات لغوية موحدة

يُعد التخطيط اللغوي (ووضع السياسات اللغوية) عملية يتم من خلالها التأثير بشكل مقصود ومخطط على اكتساب واستخدام اللغات في مجتمع معين (Cooper, ١٩٨٩). غالباً ما يكون التخطيط اللغوي جزء من عملية التخطيط الحكومي وتُعامل اللغات في مجتمع ما كقضية تسترعي الدراسة والتخطيط لتحقيق أهداف وطنية وتعليمية. حيث يُعتبر التخطيط للتعليم ثنائي اللغة في الكثير من الحالات جزء من التخطيط اللغوي على مستوى الدولة. على الرغم من أن المشهد التعليمي الحالي في دولة الإمارات وصل إلى ما هو عليه بعد بذل جهود وإصلاحات عديدة، مازال التعليم ثنائي اللغة لا يشكل هدفاً أساسياً في أجندات الحكومة. تتعامل الحكومة الإتحادية والحكومات المحلية مع اللغتين العربية والإنجليزية ضمن سياسات منفصلة كلغات في النظام التعليمي. ومن الوضع الراهن نستدل على أهمية وضع سياسات لغوية تسهم في تحقيق ثنائية اللغة والمعرفة والتي تأخذ بعين الاعتبار جميع العوامل التي قد تسهم أو تعرقل التعليم الثنائي اللغة. ينوه معالي الشيخ نهيان بن مبارك آل نهيان، وزير الثقافة والتنمية المعرفة، بأن معالجة ظاهرة انحسار اللغة العربية في المجتمع الإماراتي لا يكون بإصدار قوانين جديدة، ولكن من خلال التعليم والبحث، وليس الحل بفرض لغة على حساب الأخرى (Al Kuttab, ٢٠١٧). ولذلك يتوجب وضع سياسات مبنية على قاعدة بحثية وعلمية تراعي خصوصيات الوضع الاقتصادي والاجتماعي والديموغرافي في الإمارات وأن تكون قائمة على اشراك جميع الأطراف وأصحاب المصلحة مثل صانعي القرار، إدارات المدارس، المدرسيين، أولياء الأمور والطلبة.

بعد مراجعة عدد من برامج التعليم ثنائية اللغة من حول العالم، يُلخص (Mehisto, ٢٠١٥) الآليات التي ساهمت في نجاح هذه البرنامج. وفي الفقرات التالية سوف نناقش ثلاث آليات منها بالتفصيل ونضعها في سياق دولة الإمارات وهي: إنشاء هيئة مركزية للتعليم ثنائي اللغة، توفير فرص للتنمية البشرية لأعضاء الهيئات التدريسية، ورفع الوعي حول القضايا اللغوية بين أصحاب المصلحة. ولكن وجب التنويه أن هذه الآليات لا تعمل بشكل منفصل ولكنها تحتاج إلى دعم مستمر من قبل عوامل أخرى سواء على شكل آليات أخرى أومن خلال استغلال قوى موجودة في المجتمع تدعم عمل هذه الآليات نحو تحقيق أهدافها.

• إنشاء مركز لدعم التعليم ثنائي اللغة

أحد الآليات التي يذكرها (Mehisto, ٢٠١٥) والتي ساهمت في نجاح التجربة الهولندية، الإستونية والكازاخستانية هي إحداث هيئة مركزية تقوم بتنظيم وتنسيق ومتابعة البرامج ثنائية اللغة. في

نطاق التعليم، تتميز دولة الإمارات بخصوصيتها الإتحادية ووجود الإدارات المحلية التي تنظم أمور التعليم في كل إمارة (التوجه نحو اللامركزية). ولا يمكن التخطيط لسياسات لغوية شاملة عبر أراضي الدولة من دون أخذ هذه الخاصية بالحسبان. ولذلك قد يكون من المجدي أن تقوم وزارة التعليم بتخصيص مركز لدعم ثنائية اللغة في الدولة. بحيث يكون الهدف الرئيسي من المركز هو التنسيق بين الوزارة والحكومات المحلية في كل إمارة والتنسيق ما بين صانعي القرار ومختلف الأطراف المعنية بالتغيير عبر الدولة. حيث يقوم المركز بتعميم الأهداف والنتائج المرجوة على المؤسسات المعنية لتقوم بدورها باتخاذ القرارات اللازمة وتحديد الطرق المثلى لتطبيقها. وعلى غرار استراتيجية الأجندة الوطنية، لا تقوم لجنة المركز بإلزام الأطراف وأصحاب المصلحة بشكل يضيق الخناق على صلاحياتهم، بل على العكس، يجب أن تتيح لهم فرصة اختيار الطرائق المناسبة طالما تخدم الأهداف العامة المحددة من قبل اللجنة. ولدفع السياسات الموحدة يقوم المركز بتقديم خدمات استشارية ودعم صناعة القرار والتنظيم بين أصحاب المصلحة وجمع البيانات بشكل دوري. بالإضافة إلى أن دعم الأبحاث المتخصصة في ثنائية اللغة والتي تركز على السياق الإماراتي تعتبر من أهم الخطوات التي من شأنها أن تساعد في خلق سياسات وقرارات مبنية على أساس علمي ومدعم بالأدلة.

• دعم التنمية البشرية لدى الكوادر التدريسية

يعاني المشهد التعليمي في دولة الإمارات من ضعف في أداء الكوادر التدريسية وخصوصاً في اللغة العربية. ولعله من البديهي أن نقول بأن الطموح إلى تطوير أنظمة التعليم لا يمكن أن يتبلور بدون العمل على تطوير الكوادر التدريسية لكونها العنصر الأساسي في العملية التعليمية. ولذلك توجهت وزارة التعليم مؤخراً إلى تبني سياسات تعنى بإحداث نقلة نوعية لتعليم اللغة العربية في الصفوف الدراسية حيث صرَّح معالي حسين الحمادي، وزير التربية والتعليم، أن الوزارة تتجه إلى تغيير جذري في شكل ومضمون مناهج اللغة العربية لجعلها أكثر سلاسة وتشويقاً لجميع المراحل الدراسية من رياض الأطفال إلى الثاني عشر. وأشار أن المنظومة الجديدة المطروحة للغة العربية تتطلب من المعلمين تبني فكراً مختلفاً وأساليب تدريس حديثة ومبتكرة.

إن تطوير مناهج جديدة تخدم التعليم ثنائي اللغة في الإمارات يُعتبر من الآليات الناجحة (Mehisto, ٢٠١٥)، ولكن لا يمكن تحقيق هذا النجاح بمعزل عن عوامل أخرى مثل دور وتأثير المعلمين على تدريس المنهاج. تحديد الكفاءات المطلوبة من المدرسين تعد خطوة أولية في ضبط جودة الأداء، لأن المدرسين العرب الذين يتحدثون العربية كلغة أم أو من يمتلكون شهادات في اللغة العربية لا يعني أنهم بقادرين على تدريسها، ولذلك يجب الأخذ بعين الإعتبار المهارات التدريسية للمعلمين. وإن تمكين المدرسين من مواجهة التحديات التدريسية والتربوية داخل الفصول للتعامل مع اختلاف الاحتياجات اللغوية للطلاب يشكل تحدياً كبيراً أمام المعلمين حيث لا تتوافر لدى الكثير منهم الكفاءة الكافية لتعديل المنهاج بما يتناسب مع تلك الاحتياجات. كما يجب توفير الفرص للتدريب والتطوير المهني للمدرسين. يمكن حصاد المنفعة من تنوع المناهج في المدارس الخاصة من خلال تقديم فرص للتعاون بين الإدارات والكوادر التدريسية لمشاركة أفضل الممارسات في مجال تعليم اللغة العربية ومن الأمثلة في تمكين مدرسي اللغة العربية، هو برنامج «عش العربية» الذي يعتبر منصة دائمة لمشاركة أفضل الممارسات والخبرات الإيجابية في المدارس.

• رفع الوعي بالقضايا اللغوية بين أصحاب المصلحة

يشير خبراء التعليم ثنائي اللغة إلى أن أكثر ما يميز مثل هذه البرامج إذا كانت على مستوى شامل هو التعقيدات التي تحكم الموقف بخصائصه المختلفة. يضيف (Mehisto, ٢٠١٥) أن أكثر الأمور تعقيداً تكمن في نوعية المعتقدات والمفاهيم والتصرفات النابعة عن أصحاب المصلحة. ونعرف أصحاب المصلحة في هذه الورقة على أنهم الأفراد والمجموعات والمنظمات التي يمكن أن تتأثر بالبرامج ثنائية اللغة أو تؤثر عليها. ولعل من الضروري العمل على التشاور مع أصحاب المصلحة بشكل دوري سواء من خلال عقد المؤتمرات أو اجتماعات الطاولة المستديرة. إشراك أصحاب المصلحة يجب أن يتخذ شكلاً أكبر من مجرد إبلاغهم بالقرارات أو النتائج المرجوة. بل يجب أن يكون لهم دور فعال في أخذ القرار وأن يتاح لهم المجال للتعبير عن آرائهم ومخاوفهم وخبراتهم. بالإضافة إلى أن الوصول إلى إتفاق حول المفاهيم الأساسية في التعليم ثنائي اللغة يعد خطوة ضرورية لمحاربة الإعتقادات الخاطئة والمفاهيم الغامضة حول ثنائية اللغة.

ولذلك يلعب الخطاب المستخدم للتعبير عن القضايا اللغوية دوراً رئيسياً في تحديد مسار أي عملية إصلاح لغوي. وعلى هذا الأساس خصصنا الفقرة التالية لمناقشة نوعية الخطاب الذي من شأنه أن يساهم في إنجاح عملية تخطيط لغوي لدعم ثنائية اللغة.

٢ - ضرورة تغيير الخطاب الحالي إلى خطاب يشجع ثنائية اللغة والمعرفة

مما لا شك فيه أن القضية مُلحة وفي غاية الجدية، ولكن التعامل مع اللغة العربية بطريقة تشير إلى أنها ميتة أو مهددة بالإندثار لا يسهم في إيجاد الحلول. يتصف الخطاب الحالي الموجه إلى القضايا التي تخص اللغة في التعليم واللغة العربية على وجه الخصوص بالإنفصالية (أي معاملة كل من اللغتين العربية والإنجليزية في خندقين متضادين). وإن التعبير عن القضايا اللغوية يلعب دورا كبيراً في تحديد نهج وسير التغيرات في المستقبل. وحيث أن التغيير يكمن في تبني خطاب جديد يركز على تمكين اللغة العربية عوضاً عن «حفظها». وكما أعربت الدكتورة جين بريستول-ريز، أن اللغة العربية ليست في طريقها إلى الإندثار ولكن تكمن المشكلة في طريقة تعليمها في المدارس (Rizvi & Bell, ٢٠١٥). يجب تغيير النبرة التي تهدد بحصر اللغة العربية في التاريخ والتراث عوضاً عن التركيز على النهوض بها إلى مواكبة العصر وجعلها لغة المعرفة والإبتكار.

وتشير بدري (٢٠١٢) أن «الإفتقار إلى الأهداف المعلنة بوضوح التي تؤيد تطوير ثنائية المعرفة في الإصلاحات التعليمية الدائمة، تفشل في تبني ممارسات تقدر المعرفة باللغة العربية وتغرس شعور الفخر بها كلغة عصرية يمكنها مواجهة تحديات العولمة، لأن استخدامها يقتصر على الموضوعات التقليدية في المنهاج» (ص. ١١١). ولذلك فإن خطاب «الحفظ» واسترجاع «لغة عربية بيضاء» نقية من الشوائب هو نوع من الخيال والحنين إلى ماض لم يعد قابلا للتطبيق. حيث أن التغيير والتحديث اللغوي ليس قطيعة عن الماضي ولكن فرصة للاستمرار اللغوي. و ينطبق الأمر على تدريب المعلمين، لأن من الخطر أن يأخذ المدرس على أن اللغتين متضادتين أو أنه بالإمكان التعامل مع الطالب على أنه مُتحدثين للغتين مختلفتين في كيان واحد (Baker, ٢٠١١).

المراجع العربية

أصداء بيرسون-مارستيلر (٢٠١٧). استطلاع رأي الشباب العربي: منطقة الشرق الأوسط: إنقسام وتباين.

افتتاح مركز زايد لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في جامعة الأزهر (٢٠١٣، يناير ١٥). جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من: http:// www.alittihad.ae/details.php?id=٥٥٨٩&y=٢٠١٣

أمين، م. (٢٠١٧، مايو ٢١(. ٣ أسباب وراء رفض شركات في القطاع الخاص تعيين المواطنين. الإمارات اليوم. تم الحصول على المقال من: http://www.emaratalyoum.com/local-section/other/١,٩٩٧٢٠٥-٢١-٠٥-٢٠١٧

بدري، ف. (٢٠١٢). التعليم في دولة الإمارات العربية المتحدة: العولمة والهوية. في مرتكزات التعليم المدرسي في دولة الإمارات العربية المتحدة (١٠٧ – ١٣٢). أبوظبي: مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

بيومي، ع. (٢٠١٢أ، نوفمبر ٠٣). أهال يشتكون ضعف مستوى الطلبة في العربية. الإمارات اليوم. تم الحصول على المقال من: http://www. emaratalyoum.com/local-section/hotline/١,٥٢٣٥٧٨-٠٣-١١-٢٠١٢

بيومي، ع. (٢٠١٢ب، فبراير ١٠). مشاركون في القمة: العربية غريبة في أرضها. جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من: http://www. alittihad.ae/details.php?id=٥٧٧٤&y=٢٠١٦&article=full

تدريس المناهج العربية بالفصحى (٢٠١٧، ابريل ٢٣). جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من : http://www.alittihad.ae/details. php?id=٢٣٦٩٣&y=٢٠١٧

الأمير، ت. (٢٠١٦أ، فبراير ١٠). مشاركون في القمة: العربية غريبة في أرضها. جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من: http://www. alittihad.ae/details.php?id=٥٧٧٤&y=٢٠١٦&article=full

الأمير، ت. (٢٠١٦ب، مايو ٦). محمد بن راشد: العربية ستبقى لغة المستقبل والعلوم والإبتكار. جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من: http://www.alittihad.ae/details.php?id=٥٧٧٤&y=٢٠١٦&article=full

الباز، ف. وأخرون (٢٠١٣). العربية لغة حياة: تقرير لجنة تحديث تعليم اللغة العربية. تم الحصول على التقرير من: http://www.arabicforlife.ae/ media/Arabic_commission_Full.pdf

السباعي، و. (٢٠١٥، ابريل ٢١). المري: أسر عربية تطالب بإعفاء أبنائهم من دراسة العربية. الإمارات اليوم. تم الحصول على المقال من: http:// www.emaratalyoum.com/local-section/other/١,٧٧٦٩٣٥-٢١-٠٤-٢٠١٥

نهيان بن مبارك: اللغة كائن يتطور بتطور المجتمع وتعبر عن تراثه وثقافته وهويته (٢٠١٦، أكتوبر ١٤). جريدة الإتحاد. تم الحصول على المقال من: http://www.alittihad.ae/details.php?id=٥٠٤٤٧&y=٢٠١٦

المراجع الإنجليزية

Al Kuttab, J. (2017). New law needed to protect Arabic language, claims FNC member. Khaleej Times. Retrieved from: http://www.khaleejtimes.com/news/general/new-law-needed-to-protect-arabic-language-claims-fnc-member.

Anderson T., and Boyer M. R. (1970). Bilingual schooling in the United States. Austin, Tex.: Southwest Educational Development Laboratory.

Badry, F. (2015). United Arab Emirates: Searching for an elusive balance in bilingual education. In P. Mahisto & F. Genesee (Eds.), Building bilingual education systems: forces, mechanisms and counterweights. (pp. 214-197). Cambridge: Cambridge University Press.

Baker, C. (2011). Foundations of bilingual education and bilingualism. Bristol: Multilingual Matters.

Cooper, R. (1989). Language planning and social change. Cambridge: Cambridge University Press.

Cummins, J. (2000). Putting language proficiency in its place: Responding to critiques of the conversational/academic language distinction. In J. Cenoz & U. Jessener (Eds.), English in Europe: The acquisition of a third language. Clevedon: Multilingual Matters.

Egbert, C. (2015, January 18). Arabic mandatory for pupils in Dubai – KHDA. Gulfnews. Retrieved from: http://gulfnews.com/news/uae/education/arabic-mandatory-for-pupils-in-dubai-khda1.1442902-.

Garcia, O. (2009). Bilingual education in the 21st century: A global perspective. Chichester: Wiley-Blackwell.

Mehisto, P. (2015). Conclusion: Forces, mechanisms, and counterweights. In In P. Mahisto & F. Genesee (Eds.), Building bilingual education systems: forces, mechanisms and counterweights. (pp. 288-269). Cambridge: Cambridge University Press.

Pennington, R. (2015, March 2). Special report: Arabic ‘at risk of becoming foreign language in UAE.’ The National. Retrieved from: http://www.thenational.ae/uae/education/20150301/special-report-arabic-at-risk-of-becoming-foreign-language-in-uae

Rizvi, A. & Bell, J. (2015, April 19). UAE residents stress importance of preserving Arabic language. The National. Retrieved from:http://www.thenational.ae/uae/uae-residents-stress-importance-of-preserving-arabic-language.

عن الكاتب

لمى سليم زقزق، باحثة مشاركة في كلية محمد بن راشد للإدارة الحكومية. حصلت على درجة الماجستير من الجامعة الأمريكية في الشارقة عام ٢٠١٦ بتخصص تعليم اللغة الإنجليزية لغير الناطقين بها. أجرت أبحاث عدة سابقة في اللغويات والتعليم والسياسات الاجتماعية. مهتمة بمجال اللغة والتعليم وبدراسات النوع الاجتماعي والدراسات الأسرية.

كليـــة محمـــد بن راشـــد
للإدارة الحكـــومـــيـــة
MOHAMMED BIN RASHID
SCHOOL OF GOVERNMENT

Mohammed Bin Rashid School of Government
Convention Tower, Level 13, P.O. Box 72229, Dubai, UAE
Tel: 3290 329 4 971+ - Fax: 3291 329 4 971+
www.mbrsg.ae - info@mbrsg.ae